الخوري إدي أبي يونس

مثل الفريسي والعشار

(لوقا ١٨ / ٩-١٤)

٩. قَالَ الرَّبُّ يَسُوعُ هَذَا الْمَثَلُ لِلنَّاسِ يَثْقُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ أَبْرَارٌ، وَيَحْتَقِرُونَ الْآخَرِينَ:
١٠. "رَجُلَانِ صَعِدَا إِلَى الْهَيْكَلِ لِيُصَلِّيَا، أَحَدُهُمَا فَرِيسِيٌّ وَالْآخَرُ عَشَّارٌ.
١١. فَوَقَفَ الْفَرِيسِيُّ يُصَلِّي فِي نَفْسِهِ وَيَقُولُ: اَللّهُمَّ، أَشْكُرُكَ لِأَنِّي لَسْتُ كَبَاقِي النَّاسِ الظَّالِمِينَ الظَّالِمِينَ الزُّنَاةَ، وَلَا كَهَذَا الْعَشَّارِ.
١٢. أَنِّي أَصُومُ مَرَّتَيْنِ فِي الْأُسْبُوعِ، وَأُؤَدِّي الْعُشْرَ عَنْ كُلِّ مَا أَقْتَنِي.
١٣. أَمَّا الْعَشَّارُ فَوَقَفَ بَعِيدًا وَهُوَ لَا يُرِيدُ حَتَّى أَنْ يَرْفَعَ عَيْنَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، بَلْ كَانَ يَقْرَعُ صَدْرَهُ قَائِلًا: اَللّهُمَّ، اِصْفَحْ عَنِّي أَنَا الْخَاطِي!
١٤. أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ هَذَا نَزَلَ إِلَى بَيْتِهِ مُبَرَّرًا، أَمَّا ذَاكَ فَلَا! لِأَنَّ كُلَّ مَنْ يَرْفَعُ نَفْسَهُ يُوَضِعُ، وَمَنْ يُوَضِعُ نَفْسَهُ يُرْفَعُ."

مقدمة

نحنُ في القسمِ الثَّانِي من إنجيلِ لوقا (٩: ٥١ - ١٩: ٢٨) وهو صعودُ يسوعَ إلى اورشليم. في هذا القسمِ من إنجيله، يؤسِّسُ لوقا لزمنِ الكنيسة ويوردُ فيه نصائحَ وإرشاداتٍ للمسيحيِّ المؤمنِ ومن ضمنِ هذه الارشاداتِ يأتي مَثَلُ الْفَرِيسِيِّ وَالْعَشَّارِ ليرينا مثلَ عيشِ المسيحيِّ ومثلاً معاكساً له. لهذا السَّببِ لا تُذكرُ الأسماءُ لكي يَرى كُلُّ مُؤْمِنٍ نَفْسَهُ فِي الشَّخْصِيَّتَيْنِ فيتوبَ إن كان يشبهُ الفريسيَّ ويتشجَّعُ إن كان كالعشارِ.

شرح الآيات

٩. قَالَ الرَّبُّ يَسُوعُ هَذَا الْمَثَلُ لِلنَّاسِ يَثْقُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ أَبْرَارٌ، وَيَحْتَقِرُونَ الْآخَرِينَ:

هدفُ يسوعَ واضحٌ، إنَّه يتوجَّهُ إلى الَّذِينَ يَعتَبِرُونَ أَنْفُسَهُمْ اِبْرَارًا وَيُرِيدُونَ أَنْ يَظْهَرُوا أَنْفِيَاءَ لِلْعَالَمِ، فَيَدْعُوهُمْ يَسُوعُ فِيهِذَا الْمَثَلِ إِلَى التَّوَضُّعِ. كَمَا وَيَكشِفُ أَنَّ الْاِكْتِفَاءَ بِالذَّاتِ وبالأعمالِ التي نقومُ بها يحرِّمُنَا من نعمةِ الله.

١٠. "رَجُلَانِ صَعِدَا إِلَى الْهَيْكَلِ لِيُصَلِّيَا، أَحَدُهُمَا فَرِيسِيٌّ وَالْآخَرُ عَسَّارٌ.

ليصليًا: اعتاد اليهودُ على الصَّلَاةِ في الصَّبَاحِ والمَسَاءِ، ساعةَ تَقْدِمَةِ الذَّبِيحَةِ ولكن هذا لا يَمْنَعُ الصَّلَاةَ في أيِّ وقتٍ من النَّهَارِ، في الهَيْكَلِ (أع ٣ : ١). ويأتي هذا المثلُّ ليشدِّدَ على الإلحاحِ في الصَّلَاةِ فيُظهِرَ كَيْفِيَةَ الصَّلَاةِ بَعْدَ أَنْ أَظْهَرَ أَهْمِيَّتَهَا.

١٢. إِنِّي أَصُومُ مَرَّتَيْنِ فِي الْأُسْبُوعِ، وَأُؤَدِّي الْعُشْرَ عَنْ كُلِّ مَا أَقْتَنِي.

صَلَاتُهُ هِيَ صَلَاةُ شُكْرِ فِي الظَّاهِرِ يَعِدُّ فِيهَا الخَطَايَا الَّتِي لَمْ يَفْعَلْهَا وَالْوَصَايَا الَّتِي حَفِظَهَا وَيَحَقِّقُ فِيهَا الْمَطْلُوبَ مِنْهُ شَرْعًا. هِيَ مَارِسَاتٌ يَقُومُ بِهَا الْفَرِيسِيُّ (٥ : ٣٣، ١١ : ٤٢) فَيَجِدُ فِيهَا بَرَاءَتَهُ وَلَكِنَّهُ بِتَبَرُّرِهِ لِدَاوَتِهِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَا يَنْتَظِرُ شَيْئًا مِنَ اللَّهِ. كَمَا وَأَنَّ نُبْذَهُ لِلخَاطِئِ هُوَ تَرْجَمَةٌ لِلْمَزْمُورِ ٢٦ لَكِنَّ اللَّافِتَ أَنَّ هَذِهِ التَّرْجَمَةَ الْحَرْفِيَّةَ أَدَّتْ بِهِ إِلَى نُبْذِ صَلَاتِهِ.

١٣. أَمَّا الْعَسَّارُ فَوَقَفَ بَعِيدًا وَهُوَ لَا يُرِيدُ حَتَّى أَنْ يَرْفَعَ عَيْنَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، بَلْ كَانَ يَقْرَعُ صَدْرَهُ قَائِلًا: أَللَّهُمَّ، إِصْفَحْ عَنِّي أَنَا الْخَاطِئُ!

عَلَى عَكْسِ الْفَرِيسِيِّ يَقْرَأُ الْعَسَّارُ بِخَطِيئَتِهِ وَبَطْلِهِ الرَّحْمَةَ يَنْفِتِحُ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى نِعْمَتِهِ. وَمَنْ الْمَلْفِتِ أَيْضًا أَنَّهُ عَلَى عَكْسِ زَكَّا لَا يَعِدُّ بِالْقِيَامِ بِأَيِّ إِصْلَاحَاتٍ أَوْ أَيِّ فِعْلٍ تَعْوِضٍ.

١٤. أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ هَذَا نَزَلَ إِلَيَّ مِنْ بَيْتِهِ مُبَرَّرًا، أَمَّا ذَاكَ فَلَا! لِأَنَّ كُلَّ مَنْ يَرْفَعُ نَفْسَهُ يُوَاضِعُ، وَمَنْ يُوَاضِعُ نَفْسَهُ يُرْفَعُ.

الْبِرُّ الَّذِي اعْتَبَرَ الْفَرِيسِيُّ أَنَّهُ يَنَالُهُ بِأَعْمَالِهِ هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ عَطِيَّةُ اللَّهِ (فل ٣ : ٩) وَعَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَتَجَاوَبَ مَعَهُ فِي الْعَطَاءِ. يَنْتَهِي الْمَثَلُ بِقَلْبِ الْإِدْوَارِ فَالَّذِي صَعَدَ لِيُبَرِّرَ نَفْسَهُ عَلَنًا نَزَلَ وَهُوَ يَجْهَلُ أَنَّهُ مَرذُولٌ أَمَّا الَّذِي صَعَدَ عَلَنًا عَلَى أَنَّهُ خَاطِئٌ نَزَلَ مُبَرَّرًا سِرًّا. وَهَذَا الْحُكْمُ الَّذِي يَطْلُقُهُ يَسُوعُ إِنَّمَا يَطْلُقُهُ مِنْ وَجْهَةِ نَظَرِ اللَّهِ، كَوْنَهُ ابْنُ اللَّهِ.

خلاصة روحية

يأتي هذا المثلُّ ضمنَ ارشاداتٍ يوجِّهها لوقا للمؤمنين عن العيشِ والصَّلَاةِ. ويدعوننا للتواضعِ والتَّمَثُّلِ بِالْعَسَّارِ وَالْإِرْتِمَاءِ بَيْنَ أَحْضَانِ الرَّحْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ. وَلَكِنَّهُ بِالتَّأَلِي هُوَ دَعْوَةٌ لِفَهْمِ الْمَنْطِقِ الْإِلَهِيِّ الَّذِي هُوَ الْحُبُّ غَيْرُ الْمَشْرُوطِ وَالْغُفْرَانُ الَّذِي يَسْبِقُ أَعْمَالَنَا وَيَتَخَطَّى خَطِيئَتَنَا. بِهَذَا يَأْتِي هَذَا الْمَثَلُ فَيُبَرِّرُ طَرِيقَةَ تَعَامُلِ الْمَسِيحِ مَعَ الْخَطَاةِ فَهُوَ الَّذِي نَزَلَ إِلَيْنَا وَأَحْبَبْنَا أَوْلًا وَبِدُونِ شُرُوطٍ وَبِذَلِكَ عَرَّفْنَا عَلَى رَحْمَةِ اللَّهِ. وَبِهَذَا الْمَنْطِقِ نَتَشَجَّعُ لِنَعْتَفِفَ بِخَطَايَانَا وَتَقْبَلُ رَحْمَةَ اللَّهِ وَغُفْرَانَهُ.